

د. سعاد دریر

حَبْرٌ عَلَى قَلْبٍ

شعر

إهداء 1:

إلى ضفتي الرّوح: أمي وأبي...
مع حيي، ثم حيي، ثم حيي.

إهداء 2:

إلى جدران سكنتها فسكنتني...
إلى المسافات الممتدة بيني وبينني...
إلى حباتي المنفرطة من عقد حياتي...
"مازلتُ أمطر".

إهداء 3:

إلى سعاد.

"مَا تَصَبَّيْتُ حَرْفًا إِلَّا
وَزَادَنِي الْحَرْفُ وَجَاهَةً."

د. سعاد درير

ملء الحروف

جِنَانُكَ تَهْفُو
تَمَامًا كَمَا الْأَفْحَوَانُ.

أَيْبَصِرُنِي الْغَيْمُ
لَوْ أَنِّي أَتَسَلَّقُ
ذَالِيَةَ الشَّوْقِ،
وَأَسْكُبُ لِلَّيْلِ

كَأْسَ الرَّدَى

يَا رَدَى؟

وَرَدْتُ النَّوَى

جُرْعَةً وَاثْنَتَيْنِ،

وَمَا أَيْنَعْتُ وَرَدَّتِي

فِي رِحَابِكَ

إِذْ أَهْرَقْتُ قُبْرَاتِي

عَلَى حَافَةِ الذِّكْرِيَاتِ

وَرُودَكَ

مُدُّ شَيْعَتِهَا
رِيَّاحُ غِيَابِكَ.

تُوذِنُ فِي أُمْسِيَّاتِي
مَرَّاسِيلُ حَرْفِكَ
حَرْفًا فَحَرْفًا
وَهَا أُدْرِكُ الْحَيْنَ
أَنَّ طَرِيقَ الْحُرُوفِ
لَيْنَأَى بِكَ الْيَوْمَ
عَنْ أَرْحِيلِ السُّطُورِ،

وَمَا تُفْقَهُ الْحَيْنَ

حَرْفًا

يُذَكِّرُ نَاصِيَةَ اللَّيْلِ

مُخَبِّ التَّبَارِيحِ

- مَا أَنْ تُبَارِحَ

كَفِّي -

بِحَسْرَةِ أَوْزَاقِ عُمْرِي

وَأَنْتَ

عَدَوْتَ الْمُرَابِطَ

فِي صَبَوَاتِ قُصُورِكَ

يَا ذَا الْمُدَانِ
عَدَاةَ اِكْتِمَالِكُ.

أَقُولُ لِحُرِّيِّ:
"تَدَلَّةً"،

وَأَنْفِي جُنُونَ سَطُورِي،

فَتَرَفُوا الْحِكَايَةَ

— يَا مَنْ

حَكَيْتُ جُنُونَهُ —

مِنْ دِيلِ تَوْقِي

إِلَى ذَيْلِ غَارَاتِهِ
مُذْ أَعْرَضْنَا
عَلَى كِبْرِيَاءِ الصَّبَا
وَأَمْتَشَقْنَا
سُيُوفَ الرَّحِيلِ
عَسَانَا نُحْيِي فِي الصَّدْرِ
ذَاكِرَةً
وَشُمُوسًا
أَبَتْ أَنْ تُلَبِّي
نِدَاءَ الْغُرُوبِ.

عَلَى مُهْجَةِ اللَّيْلِ
أَشْفَقْتُ
يَا لَيْلُ
لَمَّا امْتَسَلْتُ
لِقَارِبِ رُوحِكَ
مَا أَنْ تَهَادَى
عَلَى مَوْجِ ذِكْرِكَ
يَا غَيْمُ.

يَا غَيْمُ
جُدْ بِرُضَائِكَ تَسْلَمُ،
فَمَا فِي عِدَادِ
مَرَافِي حُلْمِي
سِوَى قُبَرَاتِ
تُشْتَسِّهَ اللَّحْظَاتُ
جُحُودًا بِحَرْفِي.

أَيَا حَرْفُ
صُبَّ رُضَائِكَ

جَمْرَكَ

كَأْسًا

تُعِيدُ إِلَيَّ

تَفَاصِيلَ سِيرَةِ حَرْفِكَ

أَوْ صَبْنِي

كَأْسَكَ الرَّابِعَةَ.

...

هوسا بكأس لا تغيب

وجوه

تتأبط حيرتها،

وجوه

تتوسد أحزانها الثقيلة،

ووجوه

تمضي

إلى حيث لا تدري.

غيومي
لا أجدها
في سماء
كنت أفقه الطريق
إليها،
ووردي
أحمله ذابلاً
إلى قلب
التحم بالسماء

السابعة
تحت الأرض.

مطر
ييهربي ظله
كلما انحنى جاثما
فوق بياض
نخلته
ندف سحنتي
الفارهة،

وجداول حب
قليل عليها
أن أقبل التراب
الذي تجرفه
من تحت قدميها
بعيدا عني.

كلما انغrust جذوري
بحنق
في أرض الأحلام

تشاءبت وريقاتي

مستسلمة

لشعور طافح

بـ:

الان ت صار

إلى أن تتساقط

وريقة

وريقة

نخب انكساراتي

المتواليية.

جسور المحبة

أمدّها

إلى ضلعي المبتور

علّ يشفي سقمه

هبوبُ رياحين

عهدتها تأتي

من الاتجاه

المعاكس.

وردي

أداويه

بندی آیامی

وقد تصببتُ عرقاً

في عز الشتاء،

وحنيني

تحمله

نسمات ربيع قديم

إلى أبواب موصدة.

تخوني شفاهي

كلما

نصبت البوح قلما،

وتئن عيوني

تحت وطأة

احتباس المآقي.

الخطى إلى النبع

تقتصّر

من حذاء صبري،

والمسافات

فاكهة شتاء

تتصيد

دهشة المحال

ورضاب الممكن.

بالمدامع

تعتق داليةً الوصل،

وبالحنين

تقتلع حجارةُ النأي

ما انغرس الوجد
على ضفاف طريق
يأويه الأمل المصلوب
على ناصية الحلم.

كفاك يا فراش
احتراقا
فما في غرفة الليل
من كأس ضوء
يليق بانتظاراتك...

وأنتِ يا شمّوع،
اجمعي أمتعتكِ،
فالليلة موسم الظلام،
والإمارة لي.

...

مساء الحزن

قَدْرُ

أَنْ أَحْبَبْتُ

نَشِيدَ الطَّفُولَةِ

فِي دَفْتَرِ ذِكْرِي

وَأَرَدْتُ فِي السَّرِّ

أَغْنِيَةَ حَلْمٍ

شَفِيفٍ

نسجته بأصابع مهترئة

ونسجني لعبة حياة.

هدنة

خلتها انتصارا

لورقة أتعبها الندى

فإذا بها

ترويض مؤسس

لذاكرة من رخام.

وأنا
وأنتَ يا مساءً،
نلوكِ علكة صباحاتنا
المترنحة
ما أن نمنع السفر
في قاماتنا الشاحبة
حتى يزيدنا الدهول
سكرة
وئماله.

هذيانك
يا طيف الحزن
يليق بامرأة تسكنني،
ووردك
أطيب من أن أرشقه
بابتسامة.

إلى متى تداري رغبتك
يا قمر
في النزول إليّ؟!!

وأنتِ يا نجوم،
كفالكِ وشاية بي،
فأنا
مازلت
أترفّق بأنوثتك
الباهتة
على مرّ الانتظار.

ليل
يا ليل،

من أي ثوب
نسجت
عباءتك المخملية؟
ووددتُ
لو التقطتُ بيدي
مقاساتك
لأرتق ثقبك
بجمراتي المرصعة
بسهاد الحيارى.

"جنونك يا امرأة
يليق بلجّتي"،
هكذا كلمني البحر.
"حاشا"،
قلت له،
وما دريت
أن السفينة أنا
والإعصار.

"أ...هـ"،

وصرخت
في وجه الريح:
"أوكنتُ أنا
لأتجاهل إغراءك
لو أنكِ حملتني
إلى ما لا رجعة"؟
ألا اشهدي
يا سفن الوعد.
...

ندى كنته

أمواج
سكنتني
على مرّ التيار:
أمواجك.

تقول الوردة
في دمي:

"ها ترفلين

خارج خط الأيام".

وعد

قطعته على يدي

ألا ترسم حرفا

مندورا للتوق.

رذاذا

يكتبني حلمك

شمسا
قمرا
بحرا،
وتجذف بي
ضفافك
إلى حيث
لا شمس
ولا قمر
ولا بحر.

من أي قفار
يا حزن
تأتيني
بسلام الشوك
وترش ورودي؟
من أي قلاع الموت
تأتيني
برصاصة
لا يخطئها
الأم

ترجّ بها
قلعة روعي؟

أخفيك
حنيني الضارب
في العتق
إلى مرافئ
ليس يقيدها
جبروتك
ما اكتمل الجبروت،

وتطالعك
دهشة أزماني
من وقع الطعنة
والصمت.

لك هيأت
كؤوس جنوبي
فمضيت
تصب جحودك
في حرقه قنديل

لامك

يا ليل

على فتنة لون

أخفأك عن الأنظار.

لو تكشف لي أوراقك

يا دهر

أعفيك

من وطأة عبوري.

كأن الرمل
يحدث قطرة ماء:
"من هنا
مرّت سالتك
يا رغبتى
المقطوعة"،
فترد القطرة:
"يا عطشي،
رفقا بخصوني".

لربيع
ألهمني
بيتا من طين
أعتصر عيوني،
وأبلى الورود
الحوالي
بندی
أبدا ما صنته.
...

علّك ترضيني

هفوة

رمتني بعيدا

عن سلال الحرف.

رتبتُ

فوضى جنوبي

حالما طوقني العمر

بسؤال البارحة.

ضامرا

حاصرني

ذيل مراسيل

بددها الحلم

على قارعة الهاوية.

يأسرني موجك

يا بحر،

وتنوء بي
مسافات خطاك
المترنحة
ملء غيوم الشك.
لو أن نوافذك
اللحظة
أرحب من صدري
لذرفت ليتمك
مواويل جفوني
وأبيت إلا أن تصمت

حالما تجثم
سكرة الكلام.

نشيد الأمل المبتور
صباح مساء
يأخذك
إلى أرخبيلات الهوس
بأهداب القلب
علّ يرضيها سكونك
جاثيا

أنى تمرّ بك
حبة نسيم
عبثا تداعب وجهها
يتأكل من فرط الدهشة
ما أن تحاصره
صبوات الحرف
الواله.

سفن تطويك،
وأخرى ترميك

بعيدا عن مرمى العين،

ويد ترصد

صهيل زبدك

ما أن تبارحه

طلعة إعصاري

ونكوصي.

رياحين جناني

أخبئها

لليوم الأسود،

وأهادن

لبلاب الفصل الجاثم

ما أن تسلبني

رعشات الصبح

أقراط حيني

إلى الشمس

كلما

اشتد بي الظمأ

إلى حزمة ضوء.

أداوي
برضاب النأي
حديقة أحلامي
المصلوبة
على ورق الصبا
أم أطارح لُجَّتْكَ
يا بحر
أوجاع نوارسي
مذ لفظتها
أيدي الدهر

وباركها

ثراك؟

...

بيننا كم وكم...

بيننا

قارب يتوق

إلى مجداف

لا تخطئه فنون العوم.

بيننا

صاحب

علقته قمرا
رغم أنف الشمس.

بيننا
جبل من ذكريات
تنوء
بقلعة صمتي.

بيننا
جبل متين

يتمدّ

من أقصى شكي

إلى أقصى

يقينك.

بيننا

مدن ملح

وحصون خوف

وعيون

تتاكل

من وقع ترقب

سهم الغدر.

بيننا

جزر

من فوضى وجنون

يحرصها

أسطول خطى

تكويها

حبات تراب

فقدت

غريزة حب البقاء.

بيننا

أوطان دموع

تشرق من العين

إلى العين.

بيننا

سبحات

يعوزها الحرف.

بيننا

أوتار

ينقصها الإيقاع.

بيننا

أغنية

لروح منكسرة.

بيننا
كثبان أحلام
تحتها أيامنا
على وقع الخيبة.

بيننا
سفر
في ليل الأمل
المبتور

بيننا
عقرب الزمن
توقف.

بيننا
غيوم
تشكو
أعراض
حمل كاذب.

بيننا
أرقام معدودة.

بيننا
جسر محطم.

بيننا
قبر
يرد إلى الثّرا
ما خبأته

جفوننا

خلف الثّرا.

بيننا

وشم

وكفّ.

بيننا

قربان شوك.

بيننا
اهترأت
كبد السماء.

بيننا
أفق
يهمّ بالرحيل.

بيننا
الأقدار

ترسمنا

جدارا من حجارة.

بيننا

ما بين راحلة

ومنديل الطريق.

...

وتسألني؟!!

ها أنت
ترتق أهداب الليل،
ترسم للقمر ثغرا
بلون الخجل
يا خجلك،
وتعيد
إلى شاطئ الطفولة

ثوبه الطفولي

المرصع

بشغبك الحَيِّي.

من لي

بذاكرة من رخام

تكتبني

نبوءة الزمن القادم،

وُثُلِّي أيامي

بشهد الدموع

المعلقة

على حبال الندم؟

أتراني

أغفر لك

خطيئتك

يا زمن الوحل

وأنت تنشر

فتات جميلك

فوق رأسي؟!!

لا،

فما عاد ثمة

ما يستحق انتظار

سفينة روعي

وقد أبحرت

ضد التيار.

قارب التوق،

بأي حال عدت

يا قارب

تعبئ بطاقات الحب
بعد أن انقضت
صكوك الوفاء
وانتصب الشك
سيد اليقين؟

أجازف
بالعمر القادم
وأراهن
قمر الظهيرة

على ورقة خاسرة،

وأهمس

إلى الزمن الضائع:

"كفاك

أنفاسا جاثمة".

خيول الحظ

تبيعني

في معركة خاسرة،

هي الأخرى،

وفراش الحزن

يحط

كسيرا

على كتف قلب

روّضته الأيام

على الانسحاب

في صمت.

أشتهيك ظلّالا

يا نار،

إن شئت
اشتعلي دفئا،
وإن شئت
كنتُ لك الحطب،
فكلاهما عنب الطريق.

...

وددت لو...

البحر الذي كنته

أوغل دوني

في جُحَّة التيه

يواسي نورسا

يتيما

تقطعت به السبل.

لو يدري المحار
أي بارقة
لطلعتي
لنصنبي أميرة
على عرشه
وأشهد النجوم
على سناي.

تقول الأبراج:
"حظك اليوم

عود ثقاب
وكأس
وطريق
آخره أوله".

أرى الطريق
جمرات
تتغذى من كاهلي،
وأراني
قصيدة

تشتت

أياتها.

تؤخذني العيون

كلما

نثرت حفنة دموع

نخب الذي

قد يأتي

ولا يأتي.

على قبراتي
أعلنت الحرب
قبل أن أسقط
في موعد ما،
بينما
أتساقط أنا
كغضروف دمع.

مطر
يهطل

في أحشائي...

مطر

يصفعني بحنان...

ألثم

أهداب منديل

ضل طريقه

إلى أهدابي،

وأتھاوی.

تهاويت

لما دنا

القمر.

أدركت

أني لن أطول

القمر.

قمر

يراود الليل

عن شمعة

أبت إلا
أن تطفئه.

قيد يهادني
ويد
قلما تطاوعني.

وددت لو
قلت للقمر:
"ها جاء اليوم،

لن يطرق بابك

أحد

"اليوم"

وأنطفئ.

...

وخطاي ليل

تواطئتِ

يا سنين

مع الصمت،

ومددتِ حبلَ الكلام

حين تعلمتُ

أنا

الصمت.

أرقب
رقصتك الأخيرة
يا قمر،
وأهيب نفسي
لموكب صمتك
خجولا كعادتك.

إجلالا
لعيونك السود

أنحني
يا ليل،
وأداري عيوني،
فأنا أشد حياء
من أن تراني.

تشاءبي يا روح
قدر استطاعتك،
فالليلة
موعد صحوك.

أراني
نُحرا
أضاع ضفّتيه.
وأنت
يا صدى،
بعيون سيزيف
رمقتك
حالما كالطير،
طوباوي الطلعة،

إغريقي القسامات،

تعطي الإشارة

بالمضي

- حافي الصوت -

لقطيع

ليس تغريه سماء

في أرض عاقر.

بين جدار ونخلة

أعلق

سيقانَ الندم

على هاوية

من دمع

تسكبه

ربّات القلب

نارا

نارا.

على امتداد نأي

يداوي الطوقُ

جنونه

ملء جنوبي

مذهم يبطل

صلوات التَّوَقُّق.

في غمرة

خساراتي

أرفع قُبَّعَةَ الصمت

لذيل الخيبة

ما أن يطوقني.

مطر
يا مطر،
من ثقب الذاكرة
أبصرتك
طيفا يتدل،
في صمت
تقضم
تفاحة حلم
ممسوس

يتأكل

من فرط اللذة.

على مرمى هاوية

من ذاكرة الوقت

تتراقص

ستائر الليل،

وتتراقص أفكارك

شهوة

في النيل

من صخب النجوم
على قارعة السماء.

لحظات...
لحظات تفصلني
عن ظلك
وأنا أناجي
قمرا
أدمن السهر
على طاولة الليل.

بيننا

المسافة خطوات...

خطوات

تكفي لأعطلّ

ذاكرة الوقت،

ونقط

(هي كل ما تبقى لي

من حروف

محرقة)

تكفي
لأكتب تاريخ
هنائم
فقدت فيها
حصاني الوحيد
في الضفة القصوى.

...

المحتويات

<u>النص</u>	<u>الصفحة</u>
- ملء الحروف	4
- هوسا بكأس لا تغيب	13
- مساء الحزن	24
- ندى كتته	32
- علّك ترضيني	41
- بيننا كم وكم	50
- وتسألني	62
- وددت لو	70
- وخطاي ليّل	79